

تقديم:

يشهد العالم اليوم انعطافات وتطورات كبيرة، نجمت عن تحول المجتمعات من مجتمعات صناعية إلى مجتمعات معلوماتية ذكية، ومثل هذه التحولات، خلفت آثارا عميقة على هويتها وثقافتها المتنوعة، وعليه من الطبيعي أن تتأثر ثقافة القارئ في هذا العصر بريح هذه التحولات، خصوصا بعدما أضحى شبكة الإنترنت مصدرا مهما للمعلومات في مختلف الحقول المعرفية، مفرزة بذلك نوعا جديدا من النصوص تختلف من حيث طبيعة الوسيط الحامل لها عن النصوص الورقية التقليدية. فالقارئ بمجرد أن يلج البوابات على شبكة الإنترنت، حتى يلقي نفسه أمام كم هائل من المنتديات والمنصات والمواقع والمكتبات والمجلات الإلكترونية المؤسسية والشخصية، في جميع التخصصات الأدبية والفنية والعلمية....

انعكس هذا التحول لمصادر المعلومة على مكونات العملية الإبداعية الأدبية برمتها، فأصبحنا نتحدث عن المبدع الورقي في مقابل المبدع الرقمي والكتاب الورقي في مقابل الكتاب الرقمي والقارئ الورقي في مقابل القارئ الرقمي، هذا الأخير تأثر بشكل كبير بالثورة الرقمية وما نجم عنها من وسائط تفاعلية، يستخدمها باعتبارها وسيلة للحصول على ما يريد من المعارف والمعلومات والأخبار بأقل جهد وفي وقت وجيز. لذلك نجده يقضي ساعات طوال أمام شاشة الحاسوب أو الهاتف النقال في اتصالهما بشبكة الإنترنت، مقارنة مع جلوسه لقراءة وتقليب صفحات كتاب ورقي.

إن إدمان قارئ هذا العصر وتردده المستمر على شبكة الإنترنت وما يصاحبها من تنوع وتعدد لمصادر المعلومة، واستثمارها في تلبية حاجاته الفكرية والتعبيرية، وابتعاده بالمقابل عن الكتب الورقية التي كانت ولا تزال مصدرا للمعلومة، يعد من العوامل الرئيسة التي أدت إلى تراجع وضعف القراءة في زمن الثورة الرقمية.

1- وضع القراءة في العصر الرقمي

عرفت السنوات الأخيرة تحولات جذرية في مجال المكتبات والبحث عن المعارف والمعلومات، والتي تعود إلى التطور التكنولوجي الهائل الذي يشهده العالم، واتساع نطاق شبكة الإنترنت، والنمو المطرد لمختلف وسائل التواصل الحديثة، خاصة الحاسوب والهاتف النقال ومواقع التواصل الاجتماعي والقنوات التلفزية وغيرها، فأصبح قارئ هذا العصر يعتمد على الكتب والمجلات والصحف الإلكترونية في الحصول على المادة العلمية ومتابعة الوقائع والأحداث المتنوعة، بسهولة وسرعة الحصول عليها بأقل تكلفة وجهد ممكن.

في المقابل يلاحظ ضعف الإقبال على قراءة الكتب والمجلات والجرائد الورقية، الأمر الذي دفع بالعديد من دور النشر والمجلات والجرائد إلى الانفتاح على هذه الوسائط الحديثة والعمل على استثمار كل ما تتيحه من إمكانيات، وتكييف كل ذلك مع واقع هيمنة شبكة الإنترنت، حتى تتمكن من

تلبية الحاجات الفكرية والتعبيرية للقارئ، الذي يجد نفسه اليوم محاصراً بكم هائل من المنشورات والمعلومات والأخبار، حيث تتسابق مختلف وسائل الإعلام الإلكترونية المكتوبة والمرئية والمسموعة بوثيرة عالية لشد انتباهه.

وعليه "تتيح التكنولوجيا الحديثة للمثقف العربي الحديث الآن، ما لم تتح له من فرص في الفترات السابقة، سواء في مجال الإبداع أو البحث أو التواصل مع الآخر، فالحاسوب أداة مهمة وطبعة للكتابة بطريقة مرنة وبحسب رغبات الكاتب. كما أن البريد الإلكتروني يتيح إمكانية التواصل بسرعة وبشكل أفضل من الوسائل السابقة، والانترنت يفتح مجالاً لا متناهيًا في سبيل تحصيل المعلومات والمعارف وفي كل الاختصاصات وبكل اللغات"⁽¹⁾.

لقد أصبحت شبكة الإنترنت تزخر بمجموعة من المكتبات الإلكترونية التي تضم العديد من المصنفات والمؤلفات في مختلف الحقول المعرفية، وهي في تزايد مستمر، إضافة إلى مواكبتها لكل ما استجد من المصادر والمراجع والمجلات، وعليه أصبحت ملجأً للدارسين والباحثين والمفكرين وغيرهم، وصار من السهل عليهم الوصول إلى المعارف والمعلومات وإنجاز البحوث، عبر ما توفره لهم من نصوص في مختلف التخصصات، بمجرد الدخول إليها في الفضاء الشبكي.

"ففي مكتبة إلكترونية كاملة، تخزن الكتب إلكترونياً، ولا تعود المكتبة مبنًى، على القارئ أن يزوره، بل تصبح محطات مركزية ووحدات تخزين وأدوات اتصال يجب أن تجد لها موضعاً فيزيائياً، إلا أن القارئ لا يحتاج إلى رؤيتها، إذ يستطيع أن يقوم بعملية بحث إلكتروني عن الكتاب الذي يريده والذي يمكن أن يجده على أكثر من رفٍّ. وإذا كانت المكتبة الحقيقية تمنح القارئ متعة البحث المادي عن كتب تهمّه، فإن المكتبة الإلكترونية تستطيع إعطاءه ذات الإمكانية من خلال شاشة إلكترونية تحتوي محاكاة لكتب مرصوفة فوق رفوف يستطيع القارئ أن يمسه بها وأن يفتحها"⁽²⁾.

وعليه، يشترط في هذه المكتبات حتى تقوم بدورها على أكمل وجه تحقيق ما يلي:

"- الحفاظ على الأمانة في نقل النص. والمقصود بذلك ألا يعرض مبتوراً أو مشوهاً، كيفما كان نوع أو طبيعة هذا التشويه.

- تيسير التعامل معه على الشاشة مع مراعاة طبيعة هذا الوسيط (الحاسوب).

هذان هما الشرطان اللذان نحتكم إليهما في قراءة هذه المكتبات، وما خلاهما من الاعتبارات فلا يهمننا بالدرجة الأولى"⁽³⁾.

يمكن أن نشير إلى بعض المكتبات الإلكترونية على سبيل المثال لا الحصر كالآتي:

أ- المجموعات العربية على الإنترنت: هي عبارة عن مكتبة عامة رقمية للمكتب المؤلفة باللغة العربية. تأسست بدعم من جامعة نيويورك أبو ظبي وتدعمها حالياً المنح الكبرى من أركاديا، تضم 11566 كتاباً في أكثر من 6820 موضوعاً في مجالات متعددة (الآداب والعلوم والأعمال)⁽⁴⁾.

ب- المكتبة الرقمية العربية: هي مكتبة رقمية عربية ترصد المحتوى الرقمي الغربي في أماكن وجوده، أنشأتها مكتبة الملك عبد العزيز العامة لخدمة الثقافة العربية الإسلامية⁽⁵⁾.

ج- القرية الإلكترونية: وهي شركة إماراتية غير ربحية مقرها أبو ظبي تأسست عام 1998 تعمل في مجال النشر الإلكتروني وتطوير المحتوى الرقمي والمزج بين الوسائط المتعددة، في مجالات مختلفة (التراث العلمي العربي، العلوم الإسلامية، اللغة العربية، أدب الرحلة وحضارة المكان)، استطاعت تطوير العديد من المواقع على شبكة الإنترنت، منها: الوراق، المسالك، الرحلة، واحة المعلقات، واحة المتنبي، أطلس القرآن وتأويل رؤياك⁽⁶⁾.

هناك أيضاً، المكتبة الرقمية العالمية⁽⁷⁾، مكتبة هنداي⁽⁸⁾، مكتبة الشرق الأوسط العربية في جامعة بيل⁽⁹⁾، مكتبة قطر الرقمية⁽¹⁰⁾، مكتبة الوراق⁽¹¹⁾، المكتبة الشاملة⁽¹²⁾، المكتبة الوقفية⁽¹³⁾، مكتبة المشكاة⁽¹⁴⁾، مكتبة المصطفى⁽¹⁵⁾، مكتبة صيد الفوائد⁽¹⁶⁾....

يتبين لنا من خلال ما تقدم، أن القراءة الإلكترونية أصبحت ضرورة، خاصة مع التطور الهائل الذي يشهده النشر الإلكتروني، بحيث لا يمكن الاستغناء عنها في الحياة اليومية للكثيرين الذين تخلوا بشكل أو بآخر عن قراءة الكتاب الورقي ولم يعد بمقدرتهم قضاء ساعات طوال لتصفح صفحاته، فما يحتاجونه هو معلومات جاهزة سريعة ومختصرة، الشيء الذي لا يتحقق مع وسائل النشر الورقية التقليدية التي هي في نظر الكثيرين لم تعد قادرة على ملاحقة عصر السرعة ومواكبة العدد الهائل من المعلومات والمعارف التي تنتج يومياً.

2- مكونات العملية الإبداعية الأدبية

أتاح العصر الرقمي إمكانات هائلة على مستوى الإنتاج والتلقي، تجلت في ظهور وضع جديد لعناصر العملية الإبداعية الأدبية، بانتقالها من حقبة ما قبل الإنترنت الورقية إلى حقبة ما بعد الإنترنت الرقمية، فأصبح بمقدورنا أن نميز بين المؤلف الرقمي في مقابل المؤلف الورقي والكتاب الرقمي في مقابل الكتاب الورقي والقارئ الرقمي في مقابل القارئ الورقي.

1.2- المؤلف الرقمي/المؤلف الورقي

يعتبر المؤلف أهم مكون من مكونات العملية الإبداعية، على اعتبار أنه هو المالك الأصلي النص ومصدره، قبل أن ينتقل إلى القارئ أو القراء، وعليه، فانتقاله من طور الورقية (مؤلف ورقي) إلى طور الرقمية (مؤلف رقمي)، أدى إلى انتقال وتغيير على مستوى طبيعة باقي مكونات العملية الإبداعية

(الكتاب والقارئ)، فاستعمال المؤلف للوسيط الورقي بينه وبين القارئ، يؤدي إلى إنتاج نص ورقي يتطلب قارئاً ورقياً، في حين إذا استخدم الوسيط الإلكتروني (الحاسوب) بينه وبين القارئ يؤدي طبعاً إلى إنتاج نص رقمي يستدعي قارئاً رقمياً. بناء على ما سبق، يمكن أن نحدد أوجه المقارنة بين المؤلف الرقمي والمؤلف الورقي فيما يلي⁽¹⁷⁾:

يخضع المبدع الورقي إلى سلطة مجموعة من المؤسسات (دور النشر، المجلات، المؤسسات الأكاديمية والثقافية...) التي تلعب دور الوسيط بينه وبين جمهوره أو قرائه، في حين لا يخضع المؤلف الرقمي إلى تلك السلطة أو الرقابة التي يخضع لها المؤلف الورقي، حيث يمكنه أن يصل إلى جمهوره من القراء عبر الإمكانيات التي يتيحها له الفضاء الرحب لشبكة الإنترنت، فيصبح بإمكان أي شخص أن يكون مبدعاً رقمياً، فينشر ما أراد ليتفاعل معه القراء دون سلطة أو وسيط.

تعد المساحة التي يتحرك فيها المؤلف الورقي محصورة جداً، فهي خاصة فقط، بالنخبة من الأدباء والفنانين والمثقفين المشهورين الذين يجدون مجالا لإيصال إنتاجاتهم الأدبية إلى القراء، في حين يجد الأدباء غير المشهورين أنفسهم خارج حسابات واهتمامات دور النشر والمجلات...، الورقية، لأن هدفها تجاري ربحي بالدرجة الأولى، ففي اعتقادها كلما كان الأديب معروفاً ومشهوراً كلما كان إقبال القراء على إنتاجه الأدبي أكبر والعكس صحيح.

أما بالنسبة للمبدع الرقمي، فيجد المساحة التي يتحرك فيها شاسعة جداً، يتيحها له فضاء شبكة الإنترنت، ما دام يوجه إبداعه إلى قراء افتراضيين من كل أنحاء العالم، لهم اهتمام بذلك الموضوع، فيتفاعلون مع إبداعه، وعليه، لا يتم الاقتصار على فئة من المبدعين دون أخرى فالكل سواسية داخل الفضاء العنكبوتي.

ومن جهة أخرى، يتسم المبدع الرقمي بالتعدد، لتعدد القراء المتفاعلين مع نصه من خلال المساحات التي يتركها لهم للمشاركة في بناء النص وإعادة إنتاجه من جديد، بينما كان في السابق مؤلفاً ورقياً متفرداً، لأنه هو صاحب النص وكاتبه الوحيد، حتى وإن اقترح عليه بعض القراء رأياً ما، لا يستطيع أن يعدل فيه إلا من خلال طبعة ثانية.

تتجلى خاصية تعدد المبدع الرقمي بشكل كبير في الأدب الرقمي التفاعلي، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، أدب الواقعية الرقمية "صقيع" للمبدع الأردني محمد سناجلة، الذي ساعده في إخراجها عمر الشاويش، وقد ترك مساحات مهمة للقارئ المستخدم لتقديم اقتراحاته التي قد تصل إلى حد تعديل النص الأصلي.

إننا إذن، "أمام مقولة جديدة للمنتج/المبدع الرقمي، يشترك فيها المبدع والمبرمج والحاسوب، بمعنى آخر، هناك تعدد للذوات الإبداعية في إنتاج النص الرقمي، هذه التعددية أثرت بشكل مباشر

على طبيعة المتلقي الرقمي الذي أصبح بدوره عنصرا أساسيا في العملية الإبداعية، وذلك من خلال مشاركته في بناء النص الرقمي وإعادة إنتاجه⁽¹⁸⁾.

2.2- القارئ الرقمي/القارئ الورقي

أدى التغيير الذي حدث في طبيعة المبدع بانتقاله من مبدع ورقي إلى مبدع رقمي، إلى حصول تغيير في طبيعة القارئ الذي تحول بدوره من قارئ ورقي إلى قارئ رقمي يتفاعل مع نص رقمي، بمعنى آخر، نجد للمؤلف والقارئ الرقميين الثقافة الرقمية نفسها. وعليه، يمكن مقارنة القارئ الرقمي بالقارئ الورقي كالآتي⁽¹⁹⁾:

إن خيارات القارئ الورقي تجاه النصوص الورقية (الكتب، المجلات...) محدودة جدا، بل تفرض عليه أحيانا، من طرف دور النشر، والتوجه السياسي، والثقافي، والديني للبلد الذي ينتهي إليه، وغيرها من الأشياء الخارجة عن مجال الأدب. في حين نجد خيارات القارئ الرقمي متعددة، لا تخضع لأية قيود أو سلطة، بل هو حر يسبح في بحر شبكة الإنترنت، فيختار من النصوص الأدبية المتاحة ما يريد وبالطريقة التي يشاء، إما قراءة أو سماعا، أو حتى مشاهدة أحيانا أخرى.

تفرض النصوص الورقية على القارئ الورقي، أن يتبع نظاما خطيا تعاقبيا لقراءتها، عكس القارئ الرقمي الذي يتحرر من سلطة القراءة الخطية (أي لا خطية)، التي يوفرها النص الرقمي، فيصبح بإمكان القارئ الرقمي التجول بحرية في فضاءه واختيار المسارات القرائية التي يريدها دون قيود.

تواجه القارئ الورقي صعوبات جمة، في حال رغبته الحصول على كتاب ورقي صدر حديثا أو قديما نفذت طبعته أو طبعاته، إذ يحتاج إلى بذل جهد كبير للبحث عنه، وإجراء اتصالات أو السفر إلى مدينة أو بلد آخر للحصول على الكتاب المراد، ويمكن أن يجده أو لا يجده، وعليه يصبح عامل الوقت خارج سيطرته. أما القارئ الرقمي فيمكنه الحصول على عدة كتب صدرت حديثا أو قديما نفذت طبعاتها الورقية، بمجرد بحثه في فضاء شبكة الإنترنت عبر ما هو متوفر لدى المكتبات الإلكترونية، بسهولة ويسر وفي زمن وجيز، فيصبح عامل الوقت ملكا له وتحت سيطرته. "لن يختلف اثنان فيما يوفره البريد الإلكتروني وشبكة الإنترنت عموما من إمكانيات لتجاوز إكراهات الزمان والمكان في مجال الاتصال والتواصل. يتيح الاتصال الإلكتروني فك العزلة، ويسمح بتبادل المعلومات...وتبادل الخبرات...قد تكون الشبكة مكتبة إلكترونية غنية...قد تكون بحرا للمعلومات ينهل منه الباحث"⁽²⁰⁾.

ظلت درجة تفاعل القارئ الورقي مع النصوص الورقية محدودة، لا تتجاوز الفهم والتأويل والنقد، في حين نجد القارئ الرقمي تتعدد أمامه طرق المشاركة والتفاعل مع النصوص الرقمية، بواسطة ما يتيح المبدع الرقمي للقارئ الرقمي من مساحات تجعل منه مشاركا له في إنتاج نصه، إذ

بإمكانه أن يقترح أو يعدل في النص الأصلي. "والذي يمنحه شرعية الشراكة في التأليف، هو طبيعة النص التخيلي الرقمي الذي باعتماده الروابط، وانفتاحه على تعددية اختيار البداية، مع احتمال الخروج من النص دون الانتهاء من قراءة كل تمظهراته، هي التي تجعل من فعل القراءة...فعلا منتجا/مؤلفا للنص"⁽²¹⁾.

3.2- الكتاب الرقمي/الكتاب الورقي

نقصد بالكتاب الورقي، الكتاب الذي يستعمل الورق كوسيط لإنتاج نصوص ورقية، أما الكتاب الرقمي فهو الكتاب الذي يوظف الوسيط الإلكتروني (الحاسوب) وما يصاحبه من عتاد وبرمجيات في إنتاج نصوص رقمية، إنه حسب النقيب متولي " وسيط معلوماتي رقمي يتم إنتاجه عن طريق إدماج المحتوى النصي للكتاب من جانب، وتطبيقات البيئة الرقمية الكومبيوترية على الجانب الآخر، وذلك لإنتاج الكتاب في شكل إلكتروني يكسبه المزيد من الإمكانيات والخيارات التي تتفوق بها البيئة الرقمية الافتراضية Virtual على البيئة الورقية للكتاب، كإمكانيات الاسترجاعية للنص، والإتاحة عن بعد، وإضافة الوصلات المهيبة (المتراصة)، والوسائط المتعددة، إلى غير ذلك"⁽²²⁾.

وفي السياق ذاته، تعرف البريكي فاطمة النص الإلكتروني بأنه "النص المقدم عبر جهاز الحاسوب، ولكنه في هذه المرة اكتسب صفة الإلكترونيّة بحسب طبيعة الوسيط الإلكتروني الحامل له. ويحمل هذا المصطلح مقارنة ضمنية بين النصوص المقدمة عبر الوسيط الإلكتروني وتلك التي كانت تقدم عبر الوسيط الورقي"⁽²³⁾.

بناء على ما سبق، يمكن أن نقارن بين الكتاب الرقمي والكتاب الورقي من خلال رصد خصائص كل واحد منهما:

1- يعتمد الكتاب الرقمي في إنتاجه على الوسيط الإلكتروني (الحاسوب) وما يصاحبه من عتاد وبرمجيات، إذ تتطلب قراءته، هذه الأجهزة الخاصة، في حين، يعتمد الكتاب الورقي في إنتاجه على الوسيط الورقي (الورق)، ولا تتطلب قراءته أجهزة وبرمجيات من نوع خاص.

2- يتسم الكتاب الرقمي بسرعة وسهولة النشر والتوزيع، بحيث يمكن أن يصل إلى قاعدة كبيرة من القراء في كل أنحاء العالم خلال وقت وجيز، نظرا للإمكانيات التي يتيحها الحاسوب في اتصاله بشبكة الإنترنت، مقارنة بالكتاب الورقي الذي يعتمد على الطرق التقليدية في النشر والتوزيع، مما يجعل وصوله إلى بعض القراء، يتسم بالبطء ويتطلب وقتا أطول، كما أنه لا يصل إلى جميع الأمكنة في العالم، بسبب خضوعه إلى رقابة دور النشر وسلطة الدولة وما يرتبط بهما من إشكالات النقل والإرسال وغيرها. وهذا ما أكده حسنين شفيق أثناء حديثه عن مميزات الكتاب الإلكتروني بأنه يتيح "إمكانية نقل المعلومات من مكان إلى مكان آخر بعيد، ويمكن الاتصال في اللحظة التي تطلب فيها المعلومات عن طريق وسائل الاتصال عن بعد"⁽²⁴⁾.

3- يمكن تخزين الكتاب الرقمي في جهاز الحاسوب بطريقة سهلة، مما يجعل عملية نسخ أكبر عدد منه أكثر يسرا، مع إمكانية استعمال عدد لا محدود من القراء للنسخة الواحدة في وقت وجيز، علاوة على ذلك، يتميز بقابلية محتواه للتعديل باستمرار من طرف الكاتب. لكن عملية تخزين الكتاب الورقي على الحاسوب غير دائمة، تنتهي بمجرد إنتاجه، أما عملية نسخ الكتاب الواحد فتتطلب وقتا أطول وجهدا أكبر. وعليه⁽²⁵⁾، ينتهي النص الورقي بمجرد صدوره في هيئة كتاب، فلا يمكن إضافة أو تعديل أو تصحيح أو تنقيح أي شيء فيه، إلا بعد صدوره في طبعة أخرى جديدة.

4- قراءة الكتاب الرقمي تتم بطريقة لا خطية أو غير تعاقبية، الشيء الذي يفسح المجال للقارئ للتفاعل معه، فهو "يتيح كتابة الهوامش، ووضع ملاحظات وخطوط تحت الجمل المهمة وإشارات على الصفحات"⁽²⁶⁾. إلا أن القراءة عبر الوسيط الإلكتروني (الحاسوب) ينجم عنه إجهاد بصري، في حين الكتاب الورقي تتسم قراءته بالخطية أو التتابع، مما يغيب عنصر التفاعل بينه وبين القارئ. لكن قراءته عبر الوسيط الورقي (الكتاب) تعد مريحة أكثر للبصر.

5- مجانية خدمة تقديم الكتاب الرقمي أو تكلفته المادية أقل من تكلفة الكتاب الورقي المرتبطة بإنتاجه وطبعه. في هذا السياق يرى حسنين شفيق بأن "تكاليف اختزان واسترجاع (الكتاب الرقمي) منخفضة نسبيا (الموسوعة مثلا) إذا ما قورن بتكاليف الموسوعة نفسها المطبوعة، هذا بالرغم من ضرورة توافر تجهيزات ملائمة لعرض الكتاب إلكترونيا"⁽²⁷⁾.

6- سهولة نقل وحمل كم كبير من الكتب الرقمية إلى أي مكان عبر وسائط التخزين الرقمية: أقراص ممغنطة وملفات مخصصة للحفظ على شاشة الحاسوب المحمول أو الهاتف النقال وغيرها من الوسائل الرقمية، إضافة إلى إمكانية تداولها بسرعة في كل ربوع المعمور عبر شبكة الإنترنت، في حين يصعب حمل عدد كبير من الكتب والتنقل بها عبر حدود جغرافية واسعة، لأنها تأخذ هيئة أجسام مادية.

3- بين القراءة الورقية والقراءة الرقمية نقاش مستمر

انطلاقا من المقارنة التي قمنا بها بين المؤلف والقارئ والكتاب في تجليهما الورقي والرقمي، يمكن الحديث عن موقفين مختلفين أحدهما يؤيد القراءة الرقمية وثانيهما متشبث بالقراءة الورقية ويعارض القراءة الرقمية، ولكل من الموقفين مبرراته وحججه التي يحاول التأكيد عليها.

1.3- موقف المؤيدين للقراءة الرقمية

يقدم المؤيدون للقراءة الرقمية مجموعة من الحجج والمبررات للتأكيد على وجهة نظرهم نلخصها كالآتي⁽²⁸⁾:

تعتبر القراءة الرقمية عن العصر الرقمي وعن جيله الجديد، الذي أصبح يقضي وقتا طويلا أمام شاشة الحاسوب أو الهاتف النقال في اتصالهما بشبكة الإنترنت دون كلل أو ملل، مقارنة مع الوقت الذي يخصصه لقراءة كتاب ورقي وتقليب صفحاته.

تواكب القراءة الرقمية عصر السرعة، إذ بإمكان القارئ الرقمي الوصول إلى المعلومات والأخبار بشكل سريع، بفضل ما توفره شبكة الإنترنت من إمكانات كبيرة، للبحث عن المعلومة داخل الفهارس الإلكترونية عبر الكلمات المفتاحية، أو عن الأخبار بين الجرائد والمواقع الإلكترونية، مقارنة مع القراءة الورقية التي تفرض على القارئ الورقي إتباع نظام الخطية التراتبي من أجل الوصول إلى المعلومة، التي تتطلب منه وقتا أكبر. "ولذا فإن الأدب ومنذ لقائه بالمعلوماتية سنة 1959م شهد تحولا جذريا جعله يدخل مع التجارب الأكثر تطورا مثل مولدات النصوص التخيلية والشعرية والنصوص الشعبية التخيلية التي لا تستحيل قراءتها خطيا فحسب، بل يستحيل وجودها خارج جهاز الحاسوب... أي أن الوسيط الإلكتروني الحاضر للمنجز الإبداعي يلبي كل رغبات وحاجات عناصر العملية الإبداعية"⁽²⁹⁾.

تمنح وسائل النشر الإلكتروني الفرصة للأدباء والنقاد المبتدئين لنشر أعمالهم وكتاباتهم، بالقدر الذي تمنحه للأدباء والنقاد المشهورين، عكس وسائل النشر الورقي التي تركز على النخب من الأدباء والنقاد المشهورين، لأن هدفها في الغالب تجاري ربحي.

رفع الأدب الرقمي من شأن القارئ الرقمي منذ البداية، بحيث جعله في درجة متساوية مع المؤلف الرقمي في بناء وإنتاج النص الرقمي التفاعلي الذي يوظف عدة وسائط (النصوص، الصور، الأصوات الحركية، المشهد الفيديوي، لغة البرامج المعلوماتية...)، مما يجعل القارئ الرقمي يحقق درجة عالية من التفاعل في تنشيط الروابط التي تربط بين تلك الوسائط، في حين ظل الأدب الورقي ردحا من الزمن يعطي من شأن المؤلف الورقي، حتى تعالت الأصوات فيما بعد، تطالب بإعطاء القارئ القيمة التي يستحقها، خاصة مع نظرية التلقي، لكن تبقى درجة تفاعله مع النصوص الورقية محدودة لا تتجاوز الفهم والتأويل والنقد.

يتمتع المؤلف الرقمي بقدر مهم من الحرية والدينامية، في حين تقل هذه الحرية والدينامية أو تنعدم في بعض الأحيان مع المؤلف الورقي، بسبب خضوعه لسلطة ورقابة دور النشر والبلد الذي ينتهي إليه.

يمكن للقارئ الرقمي أن يحمل معه عددا كبيرا من الكتب والتنقل بها في مختلف الأماكن عبر العالم بسهولة، اعتمادا على الوسائط الإلكترونية، في حين يصعب على القارئ الورقي أن يحمل عددا كبيرا من الكتب والتنقل بها عبر حدود جغرافية معينة، لأنها تأخذ هيئة أجسام مادية.

يلاحظ المؤيدون للأدب الرقمي تزايد عدد قرائه، مقابل تراجع عدد قراء الأدب الورقي الذي يعاني من ظاهرة العزوف عن القراءة والتي يقربها حتى المنتصرون للأدب الورقي.

تعد التكلفة المادية للكتاب الرقمي أقل وأكثر حفاظا على البيئة، مقارنة مع تكلفة الكتاب الورقي التي تعتبر أكبر وأكثر تلويثا للبيئة، من خلال قطع الأشجار لاستخراج مادة السليلوز (Cellulose) لصناعة الورق.

يتوقع المؤيدون للأدب الرقمي زوال الكتاب الورقي وفنائه، وبالمقابل سيادة الكتاب الرقمي، لأنه يعبر عن الثورة الرقمية التي اكتسحت العالم بشكل سريع جدا.

2.3- موقف المعارضين للقراءة الرقمية

يسوق المؤيدون للقراءة الورقية عدة دلائل ومبررات للدفاع عن موقفهم نجملها فيما يلي:

لا يحتاج القارئ الورقي لأجهزة خاصة وبرمجيات لقراءة النصوص الورقية، عكس القارئ الرقمي الذي يحتاج إليها، علاوة على غلاء ثمنها، مما يجعلها ليست في متناول الكل.

يمثل الكتاب الورقي أجيالا عديدة دأبت على القراءة والكتابة التقليدية، حيث يجدون في لمسه متعة ولذة القراءة، إضافة إلى وجود فئة عريضة من تلك الأجيال لا تحسن التعامل مع التقنيات التكنولوجية المعاصرة، مما يخلق فجوة رقمية بينها وبين الوسيط الرقمي، في حين الكتاب الرقمي يمثل فئة نخبوية معينة من المجتمع وليس الكل.

يتمتع الكتاب الورقي بحصانة تضمن للمؤلف حقوق الملكية الفكرية في إطار العقد الذي يربطه بدار النشر، مما يقلل من إمكانية السرقة العلمية، بالمقابل لا يتمتع الكتاب الرقمي بالحصانة لغياب الرقيب، وعليه، يمكن انتهاك حقوق الملكية الفكرية للمؤلف.

ينتهك الكتاب الرقمي التفاعلي الأعراف والتقاليد الإبداعية الورقية، نظرا لتعدد الذوات الإبداعية، الأمر الذي يؤدي إلى القضاء على الإبداع الفردي للكتاب، ويفتح الباب على مصراعيه لطرق باب المحظورات، فهو يشرك أي قارئ كيفما كان مستواه المعرفي في العملية الإبداعية، فيصبح العمل برمته هجينا يعاني من مشاكل تتصل بالثقة والضبط واختلاف القصيدة، في حين يحافظ الكتاب الورقي على فكرة المبدع الواحد، ولا يفسح المجال للقارئ بالتعديل أو التغيير في النص الأصلي.

ينجم عن القراءة المسترسلة للكتاب الرقمي على شاشة الحاسوب أو الهاتف المحمول وغيرهما من الوسائل الحديثة، بعض الأضرار الصحية على مستوى العين، بخلاف القراءة المستمرة للكتاب الورقي التي تحافظ على النظر وتريح العين أكثر.

يرى المؤيدون للقراءة الورقية أن العمر الافتراضي للنصوص الورقية التي تحفظ في الكتب أو المجلدات أطول من العمر الافتراضي للنصوص الرقمية، التي تحفظ في أدوات ممغنطة أو في ملفات رقمية على الحاسوب وغيره.

- تركيب:

حاولت هذه الدراسة الوقوف عند أهم القضايا والظواهر المرتبطة بالفعل القرائي في ظل تحديات العصر الرقمي، ولعل أهم ما وصلت إليه، يكمن إجماله في النتائج والخلاصات الآتية:

تراجع نسبة المقرئية للكتاب الورقي، لأسباب مرتبطة بالثورة الرقمية التي يشهدها العالم، وما يرافقها من عتاد وبرمجيات، مقابل ارتفاع نسبة المقرئية على شبكة الإنترنت، من حيث البحث عن مصادر المعلومات والأخبار في المكتبات والمجلات والجرائد ومختلف البوابات الإلكترونية التي توفر خدماتها بالمجان.

أدى تغير الوسيط الحامل للنص إلى حدوث تغيير على مستوى طبيعة مكونات العملية الإبداعية الأدبية، بانتقالها من طور الورقية إلى طور الرقمية، فعندما يستخدم المؤلف الوسيط الورقي ينتج نصا ورقيا يستدعي قارئاً ورقياً، لكن حينما يستعمل المؤلف الوسيط الإلكتروني ينتج نصاً رقمياً يتطلب قارئاً رقمياً.

أسهم ظهور عدد من المكتبات والمجلات الإلكترونية في انتشار الكتاب الرقمي، الذي يلبي جميع أذواق وحاجات القراء الفكرية والتعبيرية، الأمر الذي دفع مجموعة من الناشرين وبائعي الكتب إلى التوجه نحو هذا الإبدال الجديد (الكتاب الرقمي)، أو بتعبير آخر، التوجه نحو تجارة تحويل الكتب الورقية إلى كتب إلكترونية والتي أصبحت تتطور باستمرار. وعليه أصبحت هذه الكتب تهيمن على نظيرتها الورقية.

تنامي إقبال أجيال هذا العصر على شبكة الإنترنت، خاصة في بحثهم عن مصادر المعلومة والأخبار، بحيث يقضون الساعات الطوال في الشبكة دون كلل أو ملل، مقارنة مع جلوسهم لتقليب صفحات كتاب ورقي بحثاً عن المعلومة والمعرفة.

أدى ظهور الكتاب الرقمي إلى بروز موقفين مختلفين، موقف يؤيد القراءة الرقمية وآخر معارض لها، ولكل منهما مبرراته وقناعاته التي يحاول الترويج لها. لكن في اعتقادنا نتوقع عدم زوال الكتاب الورقي لحساب الكتاب الرقمي على المستوى القريب أو المتوسط، وسيظلان يتعايشان جنباً إلى جنب رغم اختلاف الوسيط الحامل لكل منهما. لكن إذا استمر وضع المقرئية للكتاب الورقي على ما هو عليه، فمن الممكن أن يحل محله الكتاب الرقمي مستقبلاً.

لكن رغم ما شهدته المكتبات والمجلات والجرائد الإلكترونية من تطورات متسارعة وما وفرته مختلف وسائل النشر الحديثة من معارف ومعلومات للقارئ، يبقى الإشكال المطروح هو كيف نقرأ ما تقدمه هذه الوسائط؟

- هوامش الدراسة:

- ¹ - يقطين سعيد، من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، ط.1، (الدار البيضاء-المغرب، المركز الثقافي العربي، 2005)، ص. 31.
- ² - مهنا فريال، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، ط.1، (دمشق-سوريا، دار الفكر، 2002)، ص. 514.
- ³ - يقطين سعيد، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية (نحو كتابة عربية رقمية)، ط.1، (الدار البيضاء-المغرب، المركز الثقافي العربي، 2008)، ص. 159.
- ⁴ - انظر موقع المجموعات العربية: www.dlib.nyu.edu
- ⁵ - انظر موقع المكتبة الرقمية العربية: www.kadl.sa
- ⁶ - انظر موقع القرية الإلكترونية: www.electronicvillage.org
- ⁷ - انظر موقع المكتبة الرقمية العالمية: www.zdl.org
- ⁸ - انظر موقع مكتبة هنداي: www.hindawi.org
- ⁹ - انظر موقع مكتبة الشرق الأوسط العربية في جامعة بيل: www.library.yael.edu
- ¹⁰ - انظر موقع مكتبة قطر الرقمية: www.qdl.qa
- 11- انظر موقع مكتبة الوراق: www.alwaraq.net
- 12- انظر موقع المكتبة الشاملة: www.shamela.wz
- 13- انظر موقع المكتبة الوقفية: www.waqfeya.com
- 14- انظر موقع مكتبة المشكاة: www.almeshkat.net
- 15- انظر موقع مكتبة المصطفى: www.al-mostafa.com
- 16- انظر موقع مكتبة صيد الفوائد: www.saaid.net
- 17- البريكي فاطمة، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ط.1، (الدار البيضاء-المغرب، المركز الثقافي العربي، 2006)، ص. 137-138.
- 18- العنوز محمد، تدريس الأدب الرقمي بالجامعات ثقافته- وسائله، ط.1، (الرشيدية-المغرب، مطبعة الجنوب، 2018)، ص. 87-88.
- 19- البريكي فاطمة، مدخل إلى الأدب التفاعلي، مرجع سابق، ص. 139-140.
- 20- رجواني عبد النبي، التعليم في عصر المعلومات تجديد تربوي أم وهم تكنولوجياي، منشورات الزمن، العدد 46، (الدار البيضاء-المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، 2005)، ص. 90.
- 21- كرام زهور، الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، ط.1، (القاهرة-مصر، رؤية للنشر والتوزيع، 2009)، ص. 40-39.
- 22- النقيب متولي، مهارات البحث عن المعلومات وإعداد البحوث في البيئة الرقمية، ط.1، (مصر، الدار المصرية اللبنانية، 2008)، ص. 188.
- 23- البريكي فاطمة، الكتابة والتكنولوجيا، ط.1، (الدار البيضاء-المغرب، المركز الثقافي العربي، 2008)، ص. 42.
- 24- حسنين شفيق، التصميم الكرافيكي في الوسائط المتعددة، سلسلة كتب التصميم الكرافيكي في وسائل الإعلام 5، (القاهرة-مصر، دار فكر وفن، 2008)، ص. 190.

- 25- العنوز محمد، تفاعل الأدب والتكنولوجيا نصوص الواقعية الرقمية لمحمد سناجلة نموذجاً، ط.1، (عمان الأردن، دار كنوز المعرفة، 2016)، ص. 106.
- 26- البريكي فاطمة، مدخل إلى الأدب التفاعلي، مرجع سابق، ص. 45.
- 27- حسنين شفيق، التصميم الكرافيكي في الوسائط المتعددة، مرجع سابق، ص. 189-190.
- 28- العنوز محمد، تفاعل الأدب والتكنولوجيا نصوص الواقعية الرقمية لمحمد سناجلة نموذجاً، مرجع سابق، ص. 109-110.
- 29- نذير عادل، عصر الوسيط أبجدية الأيقونة، دراسة في الأدب التفاعلي الرقمي، ط.1، (لبنان، كتاب ناشرون، 2010)، ص. 39-40.